

فاعلية التكرار في المدائح النبوية للشاعر بركات بن أحمد العروسي القسنطيني.

The Répétition Effectiveness in the prophetic Hymens of the poet Barakat bin Ahmed Al-Arousi Al-Qusantini

أ. يمينة سعودي*، جامعة أم البواقي، الجزائر.

yaminaaoudi55@gmail.com

تاريخ التسليم: (2020/03/24)، تاريخ المراجعة: (2020/06/25)، تاريخ القبول: (2020/08/13)

Abstract :

Repetition is an artistic feature that contributes immensely to the beauty and creativity of poetic discourse. Recent critical studies are showing an increasing interest in the role of repetition in creating meaning. Accordingly, the present paper investigates repetition patterns in the poetic praises by the Algerian poet Laaroussi Ahmed Ben Barkat at the level of the letter, pronoun, word and phrase repetition. These kinds of repetition contributed to the formation of the rhythmic structure in Laaroussi's poems; and enabled him to express his emotions and convey the desired semantic purposes to the recipient

Key words : répétition,praise of the prophet,al ,arousi.

ملخص :

إن أسلوب التكرار من الظواهر الفنية والأساليب التعبيرية التي اهتمت بها الدراسات المعاصرة، وذلك لما يحققه من قيمة إبداعية وجمالية في الخطاب الشعري، كما أنه النقدي يرفع الستار عن الدلالات والمضامين المتخفية في هذا الخطاب وقد حاولنا في هذا البحث الكشف عن أنماط التكرار في المدائح النبوية للشاعر الجزائري بركات بن أحمد العروسي وأثرها في قصائده، اعتمادا على المنهج الفني الذي راح يحل بنية التكرار في مختلف صوره من تكرار للحرف والضمير والكلمة والعبارة.

وقد أسهم هذا التكرار بكل أنواعه في تشكيل البنية الإيقاعية لقصائد "العروسي" ومكنه من التعبير عن انفعالاته النفسية التي رسمت تجربته الشعرية مع المدائح النبوية كما حقق هذا التكرار أغراضه الدلالية التي أراد الشاعر التعبير عنها وإبصالها إلى المتلقي.

الكلمات المفتاحية: التكرار، المدائح النبوية،

العروسي.

مقدمة:

يعتبر أسلوب التكرار من الأساليب التعبيرية التي تقوي المعاني وتعمق الدلالات، وترفع من القيمة الفنية للنصوص وذلك لما يضيفه عليها من أبعاد دلالية وموسيقية متميزة، فالصورة المكررة لا تحمل الدلالة السابقة فقط بل تحمل دلالة جديدة بمجرد خضوعها لظاهرة التكرار، إلى جانب ذلك يؤدي التكرار رسالة دلالية غير صريحة؛ رسالة لا تحملها الأبيات مباشرة ولا تؤديها مفردة بعينها، فهو يقوم بدوره الجمالي عبر التراكم الكمي للحرف أو للكلمة أو للجملة، وبالتالي يعمق أثر الصورة في ذهن المتلقي.

وقبل البحث عن هذه الأنماط التكرارية في ديوان "وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين" للشاعر بركات بن أحمد العروسي القسنطيني نتعرف على مفهوم التكرار.

فقد وردت للتكرار تعريفات عدة؛ فعند ابن الأثير "دلالة اللفظ على المعنى مردداً" (ابن الأثير، ص3)، ويعرفه الجرجاني بأنه: "عبارة عن الإتيان بالشيء مرة بعد مرة" (الجرجاني 2009 ص69)، فالكلمة حين تتكرر في النص الشعري تنبئ المتلقي إلى أهميتها في نفس الشاعر؛ بمعنى أن تكرار ألفاظ معينة تعين على فهم النص وكشف ملامحه الرئيسية، ويهدف التكرار في الشعر إلى إضافة معنى أو معان أو إيقاع تحققه الكلمة، وقد وقف ابن رشيق على أغراض التكرار فكان منها التشويق، التنويه، والتفخيم والوعيد، والتعبير عن التأثير بالفجعة والاستهانة... (ابن رشيق، 1996، ص289-301)، فالشاعر عندما يلجأ إلى التكرار يعمل على جعله أداة تستقطب السامع أو القارئ، فوظيفته لا تنحصر في وظيفة واحدة، بل نجده يعبر عن جوانب النفس الإنسانية، فالتكرار يمثل اللغة الناطقة بعواطف الشاعر ووجدانه التي يعبر عنها في هذه المعاوذة والإلاحاح، لذلك يعد التكرار من أبرز مظاهر التناسق والتلاؤم والانتظام بين الوحدات الصوتية التي تتكرر في النص الشعري وهذا التكرار للوحدة الصوتية يتولد من تكرار الألفاظ والعبارات التي يتخيرها الشاعر ليؤدي وظيفة إيقاعية خاصة، ولذلك عد التكرار من الظواهر البديعية، واعتبر تقنية من تقنيات التعبير الأدبي، وأحد أهم العناصر الإيقاعية الداخلية التي تدل على الاهتمام بالشيء، ذلك أن الذي لا يتطبع في ذات المبدع يمر مروراً عابراً أي أنه لا يحدث تأثيراً ولا تفاعلاً، أما ما يرسب فيها وتتفاعل معه النفس وتتأثر به فإنه يعاود الظهور بصورة ملحّة ينشئ ما يسمى بظاهرة التكرار، لتكرار الأصوات والكلمات والصيغ الصرفية والعبارات، وبذلك فالتكرار يلعب دوراً مهماً في بعث الموسيقى الداخلية، وهو موائم للفترة، كما أن له وظيفة مزدوجة الأداء "تحمل مع التوثيق للمعنى، ودفع المساهلة في القصد إليه، قيمة صوتية وفنية تزيد القلب له قبولا، والوجدان به تعلقاً" (السيد، 1986، ص88).

وبذلك يقدم التكرار قيمة جمالية مهمة، فهو نمط إيقاعي رئيس يتخلل كل عناصر الإيقاع ويؤثر

في طبيعتها.

أ-تكرار الحروف: لقد تنبئ النقاد إلى تكرار بعض الحروف في النص الأدبي لاسيما النص الشعري حيث توقفوا عند أثره ودلالته عند الشاعر والمتلقي على حد سواء، فضلا عما يقوم به من سبك

النص وصهره ودمجه واستقراره "فالمادة الصوتية تكمن فيها إمكانات تعبيرية هائلة، فالأصوات وتوافقها، وألعاب النغم والإيقاع والكثافة والاستمرار والتكرار والفواصل الصامتة كل هذا يتضمن بمادته طاقة تعبيرية فذة" (فضل، 1998، ص27).

لذا فتكرار حرف ما أو أكثر في بيت أو نص شعري يعد أمراً لافتاً للمتلقي ينبغي أن يتوقف عنده ويستكنه دوره؛ لأن العمل الأدبي هو أولاً وقيل كل شيء تتابع من الأصوات ينبثق منها المعنى.

فالمستوى الصوتي يجذب الانتباه، كما أنه يمثل جزءاً لا يتجزأ من التأثير الجمالي، لذا لا يجب أن يحلل الصوت بمعزل عن المعنى وقد تجلت براعة العروسي الفنية ومهارته الإبداعية في اختياره للحروف وتكررها بطريقة تزيد من جمالية نصوصه المدحية لأن تكرار الحرف لا يكون قبيحاً إلا حين يبلغ فيه، وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق به عسيراً، فالمهارة هنا تكون في حسن توزيع الحرف حين يتكرر، كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات في نوتته، وليس يتأتى هذا لكل شاعر، كما لا يكون مع كل الحروف" (أنيس، دت، ص41)

وقد ورد تكرار الحروف في ديوان "العروسي" الذي مدح فيه الرسول صل الله عليه وسلم وبيّن فضل الصلاة عليه في قصائد ومخمسات متعددة، وعلى مساحات فنية متباينة في القرب والبعد، وبمنطيين مختلفين؛ الأول: تكرار يتعلق بالإيقاع الداخلي، حيث يشيع الصوت المتكرر داخل النص المدحي بشكل أفقي، والنمط الثاني من التكرار يتعلق بالإيقاع الخارجي الناتج عن تكرار أصوات القافية التي يبنى عليها الشاعر قصائده وخاصة منها القصائد العمودية فحين نستمع للشاعر بركات العروسي يقول في إحدى مدائحه للرسول -صلى الله عليه وسلم- [البسيط] (العروسي، دت، ص34)

وَيَبَاهِ سَاوَى الْمُلُوكِ الْأَعْبَادَا	اخْضَعْ لِعِزَّةٍ مِنْ سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ
أَسْنَى الْوَسَائِلِ قَدْ سَلَكْتَ السُّودَا	وَقَلِّ الصَّلَاةَ مَعَ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا
قَدْ قُمْتُ فِيهِ لِحُسْنِ مَدْحِكَ مُنْشِدَا	يَا سَيِّدَ الْكُونِيْنَ هَذَا مَوْقِفٌ
مِنْ حُسْنِ مَدْحِكَ لَنْ تَضِيْعَ فَأُطْرِدَا	إِنَا سَائِلٌ مِثِّي إِلَيْكَ وَسَائِلِ
فَضْلُ الْكَرِيمِ رَأَى السَّمَاحَةَ وَ النَّدَا	وَسَأَلْتُ مِنْ ذَاكَ السَّمَاحِ وَمَنْ يَسَلْ

والملاحظ على هذه الأبيات هو تكرار حرف "السين" وهو صوت احتكاكي أسناني لثوي مهموس مرقق (الفراهيدي، 2003، ص ص 37-38) وقد تكرر سبع عشرة مرة في هذه الأبيات الخمسة، وقد حقق حرف "السين" في هذه الأبيات توافقاً صوتياً، وشكلاً موسيقياً خفية لا نكاد نسمعها حتى نتلقفها القلوب وهذا ما كان مناسباً للمناجاة التي كان الشاعر بصدها مع الرسول صل الله عليه وسلم وهو من سما إلى السموات العلى ووقف بباب مولاه، فهو سيد الكونين الذي لا يجوز المدح إلا له ولصفاته، ولا ينبغي لأحد أن يسأل الشفاعة إلا منه فهو صاحبها ولا أحد غيره، وقد عزز التوظيف التكراري لحرف السين من كثافة الإيقاع الداخلي للنص وأضفى عليه مسحة من الهدوء التي كانت مناسبة للحالة الشعورية التي كان عليها

الشاعر وهو في حالة سؤال للرسول مقدما مدحه في سبيل ذلك.

في حين تكرر حرف "الدال" وهو حرف شديد مجهور يخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا مع الالتصاق، حيث تكرر كحرف روي محققا قافية مطلقة والتي كانت مناسبة لإطلاق ما بنفس الشاعر من فخر بمكانة الرسول -صل الله عليه وسلم- كما منح حرف الدال المكرر النص إيقاعا منظما ومستمرًا على مدى القصيدة وفجر طاقات تلك الكلمات الموحية والمعبرة عن الحالة النفسية للشاعر.

وإن كان حرف "الدال" في هذه الأبيات تكرر بطريقة عمودية باعتباره حرف الروي، فإننا نجد الشاعر قد كرره في موضع آخر من ديوانه بطريقة أفقية وذلك من أجل هندسة القصيدة التي يشكلها التكرار المنظم للحروف فيخلق معمارية القصيدة.

ومن صور تكرر حرف "الدال" بطريقة أفقية ما نجده في قول العروسي. [البسيط] (العروسي

ص17)

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ الْوَّاحِدِ الصَّمَدِ

يَا دَيْمَةَ الْجُودِ يَا دَاعِي إِلَى الرَّشَدِ

يَا مُفْرَعِي وَإِعْتِصَامِي أَنْتَ مُعْتَمِدِي

سَلِّ لِي إِلَهَكَ اسْعَادًا بِرَأْفَتِهِ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى يَا أَهْلَ ذِمَّتِهِ

فقد كرر الشاعر هنا حرف "الدال" تسع مرات وهو ينادي الرسول -صلى الله عليه وسلم- واصفا إياه بغيمة الجود والعطاء والداعي إلى الهداية والرشاد، وأنه الوحيد الذي يفرج إليه ويعتمد عليه، فيسأله الرأفة من الله عزوجل والسعادة ثم يدعو إلى الصلاة عليه، وتكرر حرف "الدال" في هذا المقطع كان مرافقا لحرف "السين" فكان بذلك تقابل موسيقي بين الجهر والهمس الذي خلق توترا انفعاليا مقصودا زاد من الموسيقى الداخلية للمقطع؛ لأن الأذن تتجذب إلى التكرارات الصوتية قبل أن يدرك السامع معانيها.

ويظهر عند الشاعر العروسي أيضا تكرر حرف "الراء" كما هو جلي في الأبيات

الآتية: [البسيط] (العروسي، صص 30-31)

حَقَّوْا بِهَا سَبْحَ الْحَصَى مِرَارًا

بِرَاحَتِهِ أَوْزَاقُ الْقَضِيبِ إِخْصَرَّتْ جَهَارًا

إِذَا مَسَّ وَكَمَّ آيَةً لِأَحْمَدَ كُبْرًا

وَالنُّخْلَةَ مِنْ جِيبِنَا أَرْثُهُ ثَمَارًا

صَلُّوا عَلَيْهِ بِدَوَامِ تَعْطُونَ أَجْرًا

فِي الْكُونِ فَخَارٌ أَكْرَمَ بِهِ مَنْ فَخَارِ

قَدْ نَالَ شَرِيفَ الْوَرَى كَرِيمَ الْفَخَارِ

مَنْ بَعْدَ غُرُوبِ لَهَا وَلَمْ تَعْصِ أَمْرًا

مِنْ ذَلِكَ الْيَدِ رُجُوعُ شَمْسِ النَّهَارِ

صَلُّوا عَلَيْهِ بِدَوَامٍ تُعْطُونَ أَجْرًا

فصوت "الراء" تكرر في هذه الأبيات اثنتين وعشرين مرة في ألفاظ «راحتته، أوراق، اخضرت، جهارا، مرارا، أرتة، ثمارا، كبرا، أجرا، شريف، الوري، كريم، الفخار، أكرم، رجوع، النهار، غروب، أمرا» وحرف الراء "صوت لثوي مكرر متوسط بين الشدة والرخاوة، مجهور مفخم مرقق" (عبد الجليل، 1998، ص157).

لقد تكرر حرف "الراء" ليجهر بمعجزات الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويفخر بها وبتنوعها ويتغنى بمكانته -صلى الله عليه وسلم- فهو أكرم خلق الله جميعا، فهو من بيده صار يابس الأغصان أخضر يانعا وهو من سبحت صم الحصى بها، وأثمرت له النخلة وغيرت الشمس مسارها وعادت إليه بعد غروبها، إلى غير ذلك من المعجزات التي حباها الله بها، فكان حرف "الراء" مناسبا لمشاعر الفخر بهذه المعجزات وذكرها فأضفى نغما موسيقيا عذبا على الأبيات.

ومن الحروف المهموسة التي كان لها حضور قوي في ديوان الشاعر "العروسي" حرف "الهاء" الذي نجده في قوله: [البسيط] (العروسي، ص29).

حَقًّا وَأَتَاهُ الْإِلَهُ عِزًّا وَجَاهًا

قَدْ نَالَ فَخَارًا مَدَاهُ لَا يَنْتَاهِي

كَمْ دَافَعَ ضَرًّا عَنَا وَتَوَلَّ سِتْرًا

فَهُوَ الْعَلْمُ الطَّاهِرُ الْمُؤَيَّدُ طَه

صَلُّوا بِدَوَامٍ عَلَيْهِ تُعْطُونَ أَجْرًا

ولأن للهمس قيمة صوتية لافتة الانتباه، نجد الشاعر وظف حرف "الهاء" في هذين البيتين تسع مرات، والهاء حرف "حنجري مهموس مرقق" (عبد الجليل، 1998، ص183)، تكرر في ألفاظ «مداه، يتناهى، أتاه، الإله، جاها، فهو، الطاهر، طه، عليه»، ولأن صوت "الهاء" يخرج من أعماق الجهاز الصوتي، فقد استعمله الشاعر ليعبر من أعماقه عن مكانة الرسول -صلى الله عليه وسلم- عند ربه الذي أتاه العز والجاه وفضله على جميع الرسل والأنبياء ووصفه بأجمل الصفات ولقبه بأحسن الألقاب، فأضفى حرف "الهاء" على السياق نغما متميزا وإيقاعا يجذب إليه صاحب الإحساس المرهف وقد يعمل

الشاعر أحيانا في تكراراته على المزاجية بين حرفين مثلما نلاحظه في الأبيات الآتية: (العروسي
ص73) [البسيط]

سَرَى النَّسِيمُ فَهَبْتُ وَإِنَّنِّي غُصْنٌ وَمَالِ صَبِّ بِكَاسِ الشُّوقِ قَدْ تَمَلَّأَ

إِنِّي أَمُنْتُ مِنَ الرَّامِي كَمَا أَمُنْتُ حَمَامٌ مَكَّةَ أُمَّنًا قَدْ جَزَى مَثَلًا

أَدَى الرَّسَالَةَ مُشْتَاقٌ لِرَوْضَةِ مَنْ نَالَ الْمَكَارِمَ وَالْفُضْلَ الصَّرِيحَ بِلَا

إِلَى الْمَدِينَةِ حَيًّا اللَّهُ سَاكِنَهَا فَإِنَّ لِي عَنْ جَمَى أَهْلِي بِهَا شُغْلًا

مَدِينَةٌ كَأَنَّ يَمْشِي فَوْقَ تَرْتَبِهَا مُحَمَّدُ طَوْرًا وَمُنْتَعِلًا

فالشاعر في هذه الأبيات كرر حرف "الميم" أربعة وعشرين مرة وحرف "النون" سبع عشرة مرة. حرف "الميم" صوت شفوي أنفي مجهور تلتحق به صفة الغنة، والشاعر إذ كرر هذا الصوت ليبين من خلاله مشاعر الشوق والحنين لمربع الرسول-صل الله عليه وسلم- وخاصة روضته الشريفة بالمدينة المنورة، حيث بلغت هذه المشاعر حد الشفاه الذي يخرج منها حرف الميم فكان مناسباً للجهر بحالة الشوق الكامن في نفس الشاعر والتعبير عن انفعالاته بأصدق تعبير، أما حرف "النون" الذي كان مرافقاً لحرف "الميم" فهو صوت "الثوي أنفي متوسط بين الشدة والرخاوة مجهور مرقق" (عبد الجليل، 1998، ص173)

تكراره خلق جواً من الانفعالات الحاملة هي الأخرى للحالة النفسية الحزينة التي يعيشها الشاعر جراء بعده عن روضة الرسول-صلى الله عليه وسلم- ومدى شوقه وحنينه إليها فامتزج الحرفين معا وقربهما من بعضهما أضيف على الأبيات مسحة من النغم الحزين المحرك للمشاعر الدفينة تجاه البقاع المقدسة.

ومازال الشاعر شائقاً لتلك المرباع ومازال يحاول عبثاً الوصول إلى هناك وقد شغلته الدينا ونفسه عنها وامتلاً بالذنوب وهو يقول: [البسيط] (العروسي، ص85).

كَيْفَ السَّبِيلُ لَهَا وَأَصْلُ بَلْبِي نَفْسِي وَشَيْطَانِي الْحَبِيبُ وَدُنْيِي

وَسَوَاعِلُ بِالذَّنْبِ هِيَ سَجِيئِي

لَكُنْ سَاهِدِي مِنْ حَفِيلِ تَحِيئِي

لَقَطِينُ تِلْكَ الدَّارِ وَالْحُجْرَاتِ

مَهْمَا تَوَارَتْ بِالْحَجَابِ عَشِيَّةً

شَمَسَ الْأَصِيلِ وَلَا حَ فَجْرُ بُكْرَةَ

1

وَشَمَمْتُ مِنْ تَلْفَاءِ نَجْدٍ نَكْهَةً

أَذْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْمُفْتَقِ نَفْحَةً

تَعُشَاهُ فِي الْأَصَالِ وَالْبُكَرَاتِ

نلاحظ في هذه الأبيات كثافة استعمال صوت "الناء" الذي بلغ تكراره سبع عشرة مرة وهو صوت أسناني لثوي انفجاري شديد مهموس مرقق، وكذلك إلى جانبه نجد تكرار حرف "اللام" ثلاثة وعشرين مرة وهو الذي شكل أعلى عدد تكراري في هذه الأبيات، حيث تحيط به عدة عوامل تساعد على تفسير هذا التكرار؛ فقد جاء إحدى عشرة مرة "لام" تعريف ولم يكن مجيئه عن غير قصد، لأن "التعريف يفيد اللفظ حضوراً أكبر في فاعلية التشكيل، ويضمن تركيزاً لصورة المعنى المقصود" (الذنيبات، 2005، ص25) ثم ورد اثنتا عشرة مرة أخرى لأنه من الأصوات السهلة النطق والتي يميل الشعراء إلى استخدامها لأن لديها استجابة عند القارئ؛ أما حرف "الناء" فنجد الشاعر قد أكثر أيضاً من استعماله لأنه المناسب لتفجير مشاعر الشوق والحنين إلى البقاع المقدسة التي أخره عن زيارته لها نفسه الأمانة بالسوء واللاهية بالدنيا المتتبعة لخطوات الشيطان، ورغم ذلك مازال يسعى لتحقيق هذه الزيارة التي كلما غربت الشمس ثم أشرقت تبعث له بنكهة مسك ذكي من حنايا "نجد"، فحرفاً "الناء واللام" اجتمعا في هذه الأبيات وكانا مناسبين للحالة النفسية التي يعيشها الشاعر من شوق وحنين، رغم اختلافهما من حيث الهمس والجهر. لقد عمل الشاعر "بركات العروسي" على تكرار الأصوات المجهورة في كثير من قصائده وما أخذناه لم يكن إلا نماذج من ذلك، فالأصوات المجهورة تتناسب مع الصوت العالي الذي كان يلائم الحديث عن صفات الرسول ومعجزاته التي لم يحظ بها غيره من الأنبياء لذلك صرح بها الشاعر، كما أن هذا الجهر في الأصوات كذلك يتوافق وحالة الشاعر بشغفه وشوقه لهذا الممدوح ومرابعه المقدسة، كما أنها تتناسب غرض المديح والإنشاد، كما كان أيضاً لتوظيف الأصوات المهموسة مكانها في ديوان الشاعر، ولأن الصوت المهموس يتصف بالرهافة والهمس، فالشاعر استخدمه في حالات المناجاة والتضرع والخشوع وطلب الشفاعة من الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكانت مناسبة لمثل هذه المواقف التي تكون عليها حالة الشاعر النفسية وانفعالاته الداخلية المتوترة.

ب - تكرار الأدوات والضمائر: يشكل تكرار بعض الضمائر والأدوات المختلفة في شعر المديح

النبوي "البركات بن أحمد العروسي" ظاهرة لافتة للانتباه، حيث استطاع الشاعر من خلاله إبراز القيم الجمالية والنعمية والإيقاعية لقصائده، وربما استخدم الشاعر هذا النوع من التكرار بشكل غير مقصود في ذهنه، والشعراء عامة يلجؤون في بناء قصائدهم إلى بعض الأدوات والحروف لتشدّد من تماسك النص وتربطه، كما قد يستعينون بها أيضا في عملية إقامة الوزن والبعد من الكسور العروضية لقصائدهم، كما يساهم تكرار الحروف والأدوات بشكل كبير في تفعيل الموسيقى اللفظية مما يحقق قيمة نغمية جليلة تؤدي إلى تقوية الروابط بين الأداء الشعري ومضمونه. وقد يشعر المتلقي ذاته بملاءمة هذا النوع من التكرار التوزيعي حتى للوحدات الصغرى في خلق إيقاع متجانس في التعبير. (فضل، دت، ص80)

ومن مظاهر تكرار بعض الحروف والضمائر في مدائح الشاعر العروسي تكرار حرف الجر "إلى" في قصيدة له يقول فيها: [الطويل] (العروسي، ص72)

رسالة مُسْتَأَقٍ بِنَارِ الْهُوَى يَصَلَا إِلَى سَيِّدِ الْكُونِينِ ذِي الْمُنْصِبِ الْأَعْلَى

إِلَى خَيْرِ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ إِلَى خَاتِمِ الْإِرْسَالِ أَعْظَمَهُمْ فَصَلَا

إِلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ إِلَى مَنْ عَلَيْهِ اللهُ فِي الذِّكْرِ صَلَّى

إِلَى مَنْ أَنَا مُنْذِرًا وَمُبَشِّرًا فَأَهْلًا بِهِ أَهْلًا وَسَهْلًا بِهِ سَهْلًا

وفي موضع آخر نجده يكرر حرف الجر "من" فيقول: [البيسط] (العروسي، ص82-83)

مِنْ نُورِهِ تَزْهِرُ الْأَرْجَاءُ وَالطَّرِيقُ مِنْ جِلْمِهِ تَنْعَمُ الْأَغْصَانُ وَالْوَرَقُ

مِنْ طَبِيبَةٍ فَاحَ مَسْكٌ نَشْرُهُ عَيْقُ نَهْرٌ لِمُرْتَسِفِ زَهْرٍ لِمُقْتَطَفِ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْصُوصِ بِالشَّرْفِ

فتكرار حرف الجر "إلى" في المقطوعة الأولى تكرر ست مرات فكان مركزا إيقاعيا وموجها دلاليا مكتفا يستقطب المتلقي إليه بنغمة الموسيقى المتكرر المرسل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فالشاعر يرسل رسالة شوقه الذي تأجج كالنار بداخله إلى سيد الكونين إلى خير مبعوث إلى خاتم الرسل وأعظمهم إلى المصطفى المختار، إلى من صلى الله عليه في ذكره، إلى من أتى منذرا ومبشرا للناس جميعا، فهو بتكراره هذا خلق جوا مشحونا بعاطفة جياشة شكلت الإيقاع الداخلي للنص بموسيقى منتظمة وأكدت مدى شوقه لزيارة الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ومازال الشاعر في شوق دائم لنبينه المصطفى

فنجده في المقطوعة الثانية يكرر حرف الجر "من" الذي جاء به ثلاث مرات في بيتين فقط، يسوق من خلاله صفات الرسول -صلى الله عليه وسلم- فمن نوره تزهو الأرجاء ومن حلمه تورق الأغصان ومن موطنه طيبة بفوح المسك العبق فهذا التكرار جاء النص متلاحما ومضبوط الحركة الإيقاعية الداخلية. ومن التكرار الوارد أيضا في قصائد العروسي أدوات الربط كحرف العطف "واو" قوله: [الكامل] (العروسي، ص 92).

قَسَمًا بِشَوْقٍ فِي الْحَشَّاشَةِ قَدُّنَا
يَا مُتْلِفِي وَيَلَا عَجِ قَلْبِي كَوَا

وَيَقِيضِ دَمْعٍ وَالتَّهَابِ أَضَالِحِ
وَتُحُولِ جِسْمٍ عَن أَبِي ذَرٍّ رَوَى

وَمَدِيدِ وَجِدٍ قَدْ تَمَلَّكَ مُهْجَتِي
وَطَوِيلِ سُهْدٍ نَشْرُ صَبْرِي قَدْ طَوَى

وَبَسِيرِ سَحَرٍ لِحَاصِكَ الْمُرْضَى وَمَا
فِيهِنَّ مِنْ دَعَجٍ وَفِيكَ وَمَا حَوَى

وَبُورِدِ خَدَّكَ وَالْعَدَارِ وَمَسْكَةِ
لِلْخَالِ تَبْدُو مِثْلَ نَجْمٍ قَدْ هَوَى

وَبِغْضِنِ قَامَتِكَ الَّذِي لَا يَنْتَبِي ِ
مَحَبَّةً إِذْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهَوَا

مَا مَلَأْتُ عَن حُبِّي إِلَيْكَ سَلْوَةً
وَهَوَاكَ عَنهُ الْقَلْبُ يَوْمًا مَا لَوَى

وَعَلِيَّ عَهْدٌ لَا أُمْتَعُ بِالْكَرَى
طَرْفِي أَوْ يَقْضِي لِصَبِّ مَا نَوَى

لَأَحُلُّ مِنْ بَعْدِ الْبِعَادِ بِيْتْرِبِ
وَأَرَى بِهَا ظَمَائِي الشَّدِيدُ قَدْ ارْتَوَى

وَأَقُومُ مِنْ فَرَجِي بِطَيْبَةٍ مُنْشِدَا
يَا قَلْبَ رُزْتُ وَمَا انْطَفَأَ ذَاكَ الْجَوَى

في هذه الأبيات كرر الشاعر حرف العطف "واو" تسعة عشرة مرة، ومازال يكررها على طول القصيدة لنجدها بصورة مكثفة، ليعبر من خلال نبضها الإيقاعي المتتالي عن مدى شوقه لمرايع الرسول -صلى الله عليه وسلم- من جهة ثم عن مدحه له والتعني بصفاته المثالية من جهة أخرى، فتوزيع "الواو" كأداة ربط على هذا النسق التراتبي جاء لأجل التركيز الموسيقي وخلق النغمة الإيقاعية التي تربط الأبيات ببعضها البعض، ومنه ربط أجزاء القصيدة ككل.

ومن الأدوات كذلك التي سجلت تكرارا في مدائح "العروسي" "كم الخيرية" التي كررها الشاعر في عدة مواضع، والتي تفيد من حيث المعنى الدلالة على الكثرة في الإخبار، وتمثل لها بالأبيات الآتية في قوله: [الرجز] (العروسي، ص36)

كَمْ مَنْ عَنَابَاتٍ لِمُرْسَلِهِ بِهِ كَمْ آيَةٌ أَضْحَتْ تُدُلُّ بِقُرْبِهِ

كَمْ سَائِلٍ قَدْ نَالَ بُعَيْتَهُ بِهِ وَغَدَا بِخَيْرٍ مِنْ لَدُنِهِ جَزِيلٍ

صَلُّوا عَلَى الْمَمْدُوحِ فِي التَّنْزِيلِ

كَمْ بِدَعَاةٍ يَظْهَرُ مَمْحُورَةٌ كَمْ مُعْجَزَاتٍ قَدْ عَدَّتْ مَجْلُورَةٌ

كَمْ آيَةٌ شَهِدَتْ لَهُ مَثْلُورَةٌ وَشَهَادَةُ الْمَوْلَى أَدْلُ دَلِيلٍ

فقد عمل الشاعر على تكرار الأداة "كم" في هذه الأبيات ست مرات تكرارا عموديا وتكرارا أفقيا مصرا على فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وتنوع معجزاته، التي لم يحظ بها نبي غيره، وقد خلق الشاعر بهذا التكرار نغما موسيقيا مفعما بالحيوية ونظاما إيقاعيا خاصا عبر عن موقفه الانفعالي، فترك وقعا وأثرا في ذات المتلقي الذي لفت انتباهه وأحاله إلى المصدر المشع في النص. ومن تكرار الأدوات كذلك نجد تكرار الاستفهام في بداية الأبيات إذ أسهم في شحن الخطاب الشعري بقوة إيحائية، وفتح المجال الدلالي أمام القارئ، كما تدفع أدوات الاستفهام إلى البحث عن الإجابة عن الأسئلة المطروحة لأجل استكمال النص، ومن مثل ذلك ما نجده عند الشاعر "العروسي" في قوله: [البسيط] (العروسي، ص39).

مَنْ قَارَنَ بِالْبَدْرِ وَجْهَهُ لَجْهُولُ فَالْبَدْرُ قَدْ يَعْتَرِيهِ كُسُوفٌ وَنُقُصَانُ

مَنْ حَنَّ لَهُ الْجِدْعُ غَيْرَ أَحْمَدَ حَقًّا إِذْ قَارَفَهُ إِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ بُرْهَانُ

مَنْ كَلَّمَهُ الضَّبُّ ثُمَّ جَاءَتْ إِلَيْهِ تَشْكُوهُ بِصَيَادِهَا الْعَرَّالَةَ إِعْلَانُ

مَنْ سَلَّمَ ذَيْبَ الْفَلَا عَلَيْهِ جَهَارًا وَالطَّيْرُ مَعَ الْوَحْشِ ثُمَّ جِنَّ وَتُعْبَانُ

مَنْ أَشْبَعَ جَيْشًا بِحَيْثِيَّةٍ مِنْ طَعَامٍ مَنْ أَرَوَى الْوُفَا مِنْ الْأَكُفِّ بِطُوقَانِ

مَنْ سَبَّحَ فِي كَفِّهِ الْحَصَا وَقَضِيبٌ

قَدْ مَسَّ يَبِيسًا نَمَّ إِنَّنِي وَهُوَ رِيَانٌ

مَنْ رَدَّ بَرِيقٍ إِلَى قَتَادَةِ عَيْنَا

وَالصَّخْرُ كَمَا قِيلَ تَحْتَ أَقْدَامِهِ لِأَنَّ

مَنْ خَبَّرَهُ مُعَلَّنًا بِسُمِّ دِرَاعٍ

إِذْ قَالَ حَدَارٍ إِيَّيَّ بِالسُّمِّ مَلْأَنَّ

فالشاعر كرر صيغة الاستفهام بالأداة "من" ليوجه اهتمام القارئ لصاحب هذه المعجزات رغم أنه معروف على أنه الرسول -صلى الله عليه وسلم-

وقد حقق التكرار في هذه الأبيات إيقاعا نشرته تلك التراكيب، فأنتج تناسقا وانسجاما ساهم في تضافر المعاني وتعميق الدلالة وإظهار القدرة الفنية للشاعر، دون الإحساس بالملل بل تدفع المتلقي إلى الاسترسال في القراءة للاكتشاف أكثر.

أما تكرار الضمائر فقد كان أيضا منوعا وبارزا في مدائح "العروسي" وقد اعتمده الشاعر لإدراكه مدى أهمية توظيف الضمير في النص الشعري " فأهمية الضمير من أهمية مرجعه في التركيب؛ لأن الضمير يشكّل على نحو من الأنحاء عالم الشاعر وحدود رؤيته له وإدراكه لأبعاده" (عبد المطلب، 1997، ص144).

فتكرار الضمائر ملمح أسلوبي بارز في شعر "بركات العروسي" ومما لا شك فيه أن تكرارها كان له دور كبير في تشكيل الإيقاع الموسيقي وفي كشف الحجب عن الدلالة التي قصدها الشاعر من خلاله "فالضمير أحد وسائل الشاعر للتعبير عن مكونات النفس ووساوس الفكر والحيرة الوجودية والتردد بين الشك واليقين، الكفر والإيمان وبين النفي والإثبات مستهدفا بذلك التركيز والتكثيف بالموازاة مع تكوين الضمير وضالة حجمه" (ابن خوية 2005، ص142).

ومن الأمثلة البارزة ما نجده قول الشاعر العروسي مكررا لضمير المخاطب "أنت" وهو يتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وفوائله التي تعود على أمته يوم الحساب العظيم

فيقول: [البسيط] (العروسي، ص59)

أَنْتَ الْكَرِيمُ عَلَى الزَّبِّ الْكَرِيمِ وَ

بِالْوَجْهِ الْكَرِيمِ لَنَا خِلَافُنَا سَمَحًا

أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا طَلَعَتْ

شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ فِي أَفْقِهِ سَبْحًا

أَنْتَ الْمُشَفِّعُ وَالْأَنْبَابُ دَاهِلَةٌ

وَقَدْ تَعَاظَمَ حَطْبُ الْحَشْرِ وَإِنْفَسَحَا

أَنْتَ الْمَرْجَى إِذَا النَّيْرَانِ مُضْرَمَةٌ

وَلِلْعَصَاةِ جَزَاءَ جَمْرِهَا نَفْحًا

أَنْتَ الْمُجِيبُ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَاثُ

إِذَا الْجَبِينُ عَدَا مِنْ هَوْلِهِ رَشْحًا

أَنْتَ الْكَرِيمُ وَالْمَوْلَى الْمُعَظَّمُ

وَالْبَدْرُ الْمُتَمَّمُ وَالنُّورُ الَّذِي ائْتَصَحَا

تتمحور الأبيات حول صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة منها صفة الشفاعة يوم الهول العظيم، فلا أحد غيره شفع في أمته يوم تكون النيران مضرمة فهو المجير الوحيد وهو المستعاث به وهو الكريم على ربه الكريم، فلا يرد له طلب وشفاعة، لذا نجد الشاعر يخاطبه صلى الله عليه وسلم بتكراره لضمير المخاطب "أنت" قاصدا شخص النبي الكريم حيث إن هذه الإعادة للضمير زودت النص الشعري بزخم منمنع من الدفق الغنائي الذي صنعتته الحركات الإيقاعية المتعاقبة في السياق بهدف إبراز النبوة الخطابية وكشف عواطف وأحاسيس الشاعر التي أراد نفسها للمتلقي وهي محافظة على وهجها وشعلتها الدلالية المؤثرة والمعبرة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المخلص الوحيد، كما أن دلالة تكرار الضمير "أنت" تعبر عن التقدير والإجلال لشخص المخاطب.

والدلالة ذاتها من اعتزاز وافتخار وتمجيد نجدها تتحقق مع ضمير الغائب "هو" لذلك لم يتوان الشاعر في تكرار هذا الضمير أيضا في قصائده المدحية إذ يقول في إحداها: [البسيط] (العروسي، ص64)

هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي حَازَ أَنْجَدَهُ

هُوَ الْمُعِينُ وَمَنْ نَادَاهُ أَسْعَدَهُ

هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي وَجَدْتُ مَفْصِدَهُ

عَلَى الْأَنْثَامِ لِأَحْوَالِ مُهْمَاتِ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْمَخْصُوصِ بِالْكَرَامَاتِ

هُوَ الرَّؤُوفُ الَّذِي أَرْجُو إِجَابَتَهُ

هُوَ الرَّجِيمُ الَّذِي قَصِدِي وَسِيلَتَهُ

هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي أَعَدَدْتُ مَدْحَتَهُ

يَوْمَ الْمِعَادِ لِأَتَامِ عَظِيمَاتِ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْمَخْصُوصِ بِالْكَرَامَاتِ

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي مَا رَدَّ سَائِلُهُ

إِلَّا بِنُصْرَتِهِ مِمَّا تُهَوِّلُهُ

حَاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ الْمَدَّاحُ نَائِلُهُ

وَهُوَ الْمَرْجَى لِتَنْوِيلِ الْعَطِيَّاتِ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْمَخْصُوصِ بِالْكَرَامَاتِ

هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي مَا زَالَ يَلْحَظُنِي

فِي كُلِّ صَبِيحٍ إِذَا نَادَيْتُ يُنْقِذُنِي

أَسْعَى إِلَى جُودِهِ سَعْيًا يُبَشِّرُنِي

بِنَيْلِ مَا أَرْتَجِيهِ مِنْ أَلْبَانَاتِ

1

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْمَخْصُوصِ بِالْكَرَامَاتِ

اعتمد الشاعر في هذه الأبيات تكرار الضمير "هو" على رأس كل شطر تقريبا لتبيان عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم وإظهار فضله على أمته فألبسه صفات من صفات الله عز وجل في قوله «هو الرؤوف، هو الرحيم، هو الكريم...». ولم يكتف الشاعر بهذا النوع من التكرار فنجده كرر هذا الضمير "هو" أكثر من مرة في البيت الواحد كما في قوله: [الكامل] (العروسي، ص116)

هُوَ سَيِّدٌ هُوَ مُنْجِدٌ هُوَ رَحْمَةٌ هُوَ مَلْجَأٌ هُوَ مَأْمَنٌ هُوَ عِصْمَةٌ

هُوَ مُنْقِذٌ هُوَ مُنْذِرٌ هُوَ نَعْمَةٌ

لَوْلَاهُ كُنَّا فِي الْمِعَادِ عَلَى شَفَا

صَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْأَتَامِ الْمُصْطَفَى

فنلاحظ أن عدد التكرارات التي وظفها الشاعر للضمير "هو" في أربعة مقاطع شعرية من مخمسه هو نفسه العدد الذي كرره في مقطع واحد، وهو تسع مرات، لم يقتصر أمر تكراره لهذا الضمير على التكرار العمودي، وإنما تعداه إلى التكرار الأفقي وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدل على المبالغة في الفخر بالرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة في التأكيد على عظمة مكانته التي لا تضاهيها مكانة شخص آخر، هذا بالإضافة إلى ضمير الغائب المتصل والعائد على الرسول نفسه في كلمات (أنجده، أسعده، مقصده، إجابته، وسيلته، مدحته، سائله، نصرته، نائله...) فوفرة الضمير في هذه المقاطع رسمت فضاءً واسعاً للنص وخلقت إلى جانب ذلك إيقاعاً متميزاً.

ج- تكرار الكلمة: ويقصد بذلك أن يكرر الشاعر كلمة شعرية سواء أكانت اسماً أم فعلاً، تكرر

فنيا يبرز ويقوي المعنى وتكرار الكلمة الواحدة في أول البيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة أبسط ألوان التكرار، وهذا اللون لا يرتفع إلى مرتبة الأصالة والجمال إلا على يدي شاعر موهوب يدرك أن المعول في مثله، لا على التكرار نفسه، وإنما على ما بعد الكلمة المكررة. (الملائكة، 1967، ص246). كما يعتمد الشاعر أحيانا إلى تكرار بعض الكلمات في مواضع أخرى من أبيات النص الشعري، وبذلك تشكل الكلمة المكررة محورا أساسا لدى الشاعر، بحيث تحدد الدلالة والقصد من تكرارها ومن خلال ذلك كله يتمكن المتلقي من استجلاء ما يدور في ذهن الشاعر ونفسه من انفعالات وأحاسيس، أضف إلى ذلك أن لتكرار الكلمة في الجملة أو في النص قيمةً سمعيةً، تأخذ المستمع نشوة التأثير بها، إعجابا بها أو تعجبا منها" (السيد، 1986، ص79).

وقد عمد الشاعر بركات العروسي إلى تكرار الكلمة في مدائحه النبوية، موحيا للسامع أو المتلقي بمضمون معين يحاول تأكيده ويساعده به على طبع الصورة في الذهن، ومثل هذا التكرار نجده في قوله: [البسيط] (العروسي، ص57).

مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ قَدْ فَازَ ذَاكِرُهُ مُحَمَّدَ الْمُصْطَفَى جَلَّتْ مَفَاجِرُهُ

وَحَصَّنَهُ بِعَلَا الدَّارَيْنِ فَاطِرُهُ فَحَنُّ أَهْلِ مَفَازٍ مِنْ وِلَايَتِهِ

صَلُّوا عَلَيْهِ وَزِيدُوا فِي مَحَبَّتِهِ

مُحَمَّدَ عَمَّتِ الدَّارَيْنِ رَحْمَتُهُ مُحَمَّدَ عَمَّتِ الْمَخْلُوقُ دَعْوَتُهُ

وَبَرَزَتْ لِجَمِيعِ الْكُونِ طَلْعَتُهُ اعْزُرْ بِهِ مَنْ نَبِيٍّ فِي سَيَادَتِهِ

1

صَلُّوا عَلَيْهِ وَزِيدُوا فِي مَحَبَّتِهِ

مُحَمَّدَ سَيِّدٍ بِالْحَلِيمِ مُنَبِّدٍ مُحَمَّدَ نُورِهِ، بَادٍ وَمُنْقَدِّدٍ

مَا مِثْلُهُ بَشَرٌ كَلَّا وَلَا أَحَدٌ حَقًّا يُدَانِيهِ فِي تَفْضِيلِ رُبْنَتِهِ

صَلُّوا عَلَيْهِ وَزِيدُوا فِي مَحَبَّتِهِ

مُحَمَّدٌ كُلُّ فَضْلٍ فِيهِ قَدْ عَلِمَا مُحَمَّدٌ كُلُّ مَجْدٍ فِيهِ قَدْ نُظِمَا

كُلُّ الْجَمَالِ حَوَاهُ حُسْنُ صُورَتِهِ

تَجَمَّعَتْ فِيهِ آيَاتُ الْكَمَالِ كَمَا

1

صَلُّوا عَلَيْهِ وَزِيدُوا فِي مَحَبَّتِهِ

مُحَمَّدَ ذِكْرِهِ حِصْنٌ لِفَاجِعَةٍ

مُحَمَّدَ خَيْرٌ مَنْ يُرْجَى لِفَادِحَةٍ

لَا تَلْتَجِي أَبَدًا إِلَّا لِسَاحَتِهِ

مُحَمَّدَ مَدْحُهُ بَابٌ لِفَارِجَةٍ

صَلُّوا عَلَيْهِ وَزِيدُوا فِي مَحَبَّتِهِ

ويبقى الشاعر مكررا لاسم "محمد" على طول مخمسه مستهلا به كل مقطع منه وهذا ما يسمى بالتكرار الاستهلاكي الذي يستهدف "الضغط على حالة لغوية واحدة وتوكيدها عدة مرات بصيغ متشابهة ومختلفة من أجل الوصول إلى وضع شعري معين قائم على مستويين رئيسيين إيقاعي ودلالي" (عبيد، 2001، ص193)

والشاعر في هذا المخمس يصور لنا مدى حبه للرسول -صلى الله عليه وسلم- وفضله على أمته، فهذا التكرار الذي جاءه الشاعر كان مقصودا لتحقيق غايات دلالية وجمالية فالتأكيد على الكلمة ومعاودة تكرارها يرتبط كثيرا بالحالة الوجدانية والعاطفية التي يسعى الشاعر إلى بثها في نصه فالرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- رسول الأمة وأرسل للناس كافة وهو شفيعها ومنقذها يوم الهول العظيم. ومن نوع التكرار نفسه نجد الشاعر في مخمس آخر يكرر اسم الإشارة هذا في بداية كل بيت فيقول: [البسيط](العروسي، ص76)

هَذَا الْمُفْرَجُ ذَا وَادِي الْعَتِيقِ بَدَا

يَا سَعْدُ إِنَّ زَمْرَمَ الْحَادِّي وَإِنْ نَشَدَا

وَهَذِهِ طَيِّبَةٌ فَأَنْزِلْ وَلَا تَعْجِ

هَذَا الْمُصَلَا وَذَا سِلْعٌ وَثُورٌ هُدَى

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى ذِي الْمُنْتَظَرِ الْبُهْجِ

وَهَذِهِ رَوْضَةٌ الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرَّ

هَذَا مُحَمَّدُ سَلُّ مَا شَبَّتَ مِنْ وَطْرٍ

بِأَنْ تُبَشِّرَ بَعْدَ الْيَأْسِ بِالْفَرْجِ

هَذَا مَحَلُّ النَّدَا فَابْشِرْ فَأَنْتَ حَرِّ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى ذِي الْمُنْظَرِ الْبُهْجِ

هَذَا مَحَلُّ الرِّضَا بِالْمَكْرُمَاتِ سَمَا

هَذَا الْوَجِيهُ الَّذِي قَدْ أَنْقَذَ الْأُمَّمَا

تَرَى مَحَاسِنَ هَذَا الْمُنْظَرِ

هَذَا ضَرْيَحِ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ أَمَا

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى ذِي الْمُنْظَرِ الْبُهْجِ

هَذَا الْحَبِيبِ رَسُولُ اللَّهِ نَادِيهِ

هَذَا مُحَمَّدُ هَذَا الْمَسْتَعَاثُ بِهِ

مِنْ حَرِّ نَارٍ لَطَى فِي الْمَوْقِفِ الْحَرْجِ

هَذَا الْبَشِيرُ النَّذِيرُ الْمَسْتَجَارُ بِهِ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى ذِي الْمُنْظَرِ الْبُهْجِ

نلاحظ تكرار الشاعر لاسم الإشارة "هذا" على أن هذا التكرار لا يتوقف عند هذه الأبيات، بل يتواصل مع الشاعر إلى أكثر منها، وهذا التكرار خلق كثيفا صوتيا أدى دورا بارزا في إظهار إعجاب الشاعر بصفات ممدوحه الرسول صلى الله عليه وسلم وروضته الشريفة ومرابعه المقدسة، حيث إن تكرار اسم الإشارة يحمل معاني التشخيص والتفخيم، بالإضافة إلى تكثيف الصورة التي يرمي الشاعر إلى بلورتها في ذهن المتلقي حول صفات وفضائل النبي صلى الله عليه وسلم، زد على ذلك ما يميز هذا التكرار من ملامح جمالية حسية.

ومن الأفعال التي كررها الشاعر "العروسي" في ديوانه "وسيلة المتوسلين في فضل الصلاة على

سيد المرسلين» فعل الأمر «صلوا» والذي كرره في عديد المواضيع وفي مختلف قصائده العمودية أو مخمساته وذلك لأن هذا الفعل هو ما يقوم عليه دافع تأليف الديوان وهو تبيان فضل الصلاة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتأخذ مثلا على ذلك قوله: [الكامل] (العروسي، ص 49)

صَلُّوا عَلَيْهِ حَوَى الْجَمَالَ الْأَكْبَرَا

صَلُّوا عَلَى مِسْكٍ يُخَالِطُ عَنَبْرَا

وَبِذَاكَ قَدْ حَصَّ الْخَلِيلُ خَلِيلَا

لَيْسَ الْجَمَالَ مُطَرَّرَا وَمُحَبَّرَا

صَلُّوا عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلَا

صَلُّوا عَلَيَّ مِنْ لَالَةٍ مِنْ مُشَبَّهِ

صَلُّوا عَلَيَّ الْهَادِي الْحَبِيبِ الْأَنْزَه

لَثْمًا يَعُودُ الْقَلْبُ مِنْهُ صَقِيلًا

وَيَلْتَمُّ ثَرِيَّتَهُ إِفْتِحَارُ الْأَوْجُهَةِ َ

صَلُّوا عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا

صَلُّوا عَلَيَّ الْهَادِي الْحَبِيبِ الْمُرْتَضَى

صَلُّوا عَلَيَّ صُبْحِ تَبْلَجِ بِالرَّضَى

وَأَرَاخَ مِنْ دَارِ الضَّلَالِ عَلِيًّا

صَلُّوا عَلَيَّ مِنْ نُورِهِ مَلَأَ الْفَضَا

صَلُّوا عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا

صَلُّوا عَلَيَّ وَبِلِ الْعُلُومِ الْمَاطِرِ

صَلُّوا عَلَيَّ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ الزَّاهِرِ

فَاللَّهِ فَضَّلَ قَدْرَهُ تَفْضِيلًا

صَلُّوا عَلَيَّ الرُّوضِ الْبَهِيِّ النَّاطِرِ

1

صَلُّوا عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا

وما زال الشاعر يكرر فعل الأمر "صلوا" حتى نهاية هذا التخميس والفعل يحمل دلالة الدعاء والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الشاعر ملحا على تكرار هذا الفعل ليجسد لنا مدى إصراره على الصلاة على الرسول في كل وقت وحين؛ لأن ذلك له فضل وأجر عظيم، وراح الشاعر يكرر هذا الفعل مذكرا بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم ويفضائله وصفاته المختلفة الخلقية منها والخلقية، وتكرار الأفعال بأزمنتها المختلفة يؤدي وظيفة دلالية وإيحائية فيثري النص الشعري ويفتح آفاقه ويجعله أكثر عطاءً، كما يضيف عليه مسحة جمالية، ويكسبه جرسا موسيقيا أخاذا كما نجد للشاعر تكرار الكلمة داخل البيت الواحد من مثل قوله: [الطويل](العروسي،ص72)

كَرِيمٌ عَلَيَّ الرَّبِّ الْكَرِيمِ وَوَجْهَةٌ
كَرِيمٌ فَمَا أَسْتَأْهُ وَجْهًا وَمَا أَجَلًا

فنلاحظ تكرار لفظة "كريم" ثلاث مرات في هذا البيت موزعا الشاعر صفة "الكريم" بين الرسول صلى الله عليه وسلم ورببه الذي حباه هذا الفضل وهذه النعمة، فهذا التكرار يكشف عن حجم الانفعال

الذي تملك الشاعر وهو يعدد صفات الرسول عليه الصلاة والسلام محاولا نقل حالته الشعورية إلى المتلقي، كي يثير فيه هو الآخر أحاسيسه ووجدانه تجاه نبيه الكريم.

د/تكرار العبارة "الجملة": ترتبط الجمل بعضها ببعض وتتألف محدثة جرسا موسيقيا يتباين في نغماته بين الهدوء والصخب لإنتاج دلالات جديدة تخدم الفكرة العامة التي ينهض عليها النص وتشكل بؤرة تضيء جوانب القصيدة، والشاعر يقوم عادة بتكرار بعض الجمل وهذا التكرار من الملامح الأكثر بروزا لتلاحم النص وانسجامه فيشد أطرافه بعضها ببعض، ويحقق نوعا من الحركة، بالإضافة إلى أن "هذا النمط من التكرار عند الشاعر يتخذ من العبارة المكررة مرتكزا يبني عليه في كل مرة معنى جديدا، وبذلك أصبح التكرار وسيلة إلى إثراء الموقف وشحن الشعور إلى حد الامتلاك" (السيد، 2006، ص139) فهذا الضرب من التكرار يسهم إلى حد بعيد في تغذية الإيقاع المتحرك للخطاب الشعري وتحقيق التناسق والتناغم الصوتي وتعزيز الموسيقى الداخلية، والشاعر بركات العروسي حاول توظيف بعض العبارات في مدائحه النبوية وراح يكررها من أجل تحريك الإيقاع فيها، ومنحها روحا وتدافقا لكي يحدث التأثير المنشود لدى المتلقي، ومن أنواع هذا التكرار ما جاء في قصيدة له يقول فيها:

: [البسيط] (العروسي، ص79).

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيِّ مِنْهُ أُمَّتُهُ
أَضْحَنْتُ عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ مُفْتَحِرَهُ

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيِّ نُورِ طَلْعَتِهِ
أَبْدَى الْهُدَى وَلِيَالِي الشَّرِكِ مُعْتَكِرَهُ

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيِّ لِلْعُلُوِّ سَرَى
عَلَى الْبُرَاقِ فَسُبْحَانَ الَّذِي فَطَرَهُ

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيِّ سَبَّحَتْ حَجْرَهُ
فِي كَفِّهِ وَعَلَيْهِ سَلَّمْتُ شَجْرَهُ

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيِّ مِنْ أَنَامِلِهِ
جَرَتْ عَيْوُنُ بَرِيِّ الْحَبِيشِ مِنْهُمْ مَرَهُ

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيِّ عِنْدَ فُرْقَتِهِ
قَدْ حَنَّ جِدْعٌ إِلَيْهِ مَطْهُرًا حَسْرَهُ

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيِّ لِلرَّشَادِ دَعَا
وَلِللنَّجَاةِ وَإِنَّا عُصْبَةُ الْكُفْرِهِ

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيِّ بَاشَرَتْ يَدُهُ
يَوْمًا عَصَى فَعَدَّتْ مِنْ جَانِبِهَا نَظْرَهُ

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيِّ ظَلَّلَتْهُ عِمَامَتُهُ
كَذَا عَنكَبُوتٌ نَسَجَهَا سِتْرَهُ

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيٍّ مَنْ إِلَيْهِ لَجَا َ أَتَتْ إِلَيْهِ خُطُوبُ الدَّهْرِ مُعْتَذِرَه

أَلَسْتُ خَيْرَ نَبِيٍّ فِيهِ مَا دَحَهُ الْعَبْدُ الْعَرُوسِي يَرْجُو مِنْهُ مَا إِدْخَرَه

مَنْ نَيْلٍ أَمِنْ وَسِئْرٍ دَائِمٍ وَحِمَى مِنْ حَاسِدٍ وَعَدُوٍّ بِالرَّدَى نَظَرَه

فالشاعر في هذه الأبيات وظف الاستفهام المنفي غير المثبت وقد استخدم فيه الهمزة ثم أداة النفي "ليس" ليحدثنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ودوره في هداية الناس وإخراج أمته من الظلمات إلى النور، ثم يواصل حديثه بعبارة «ألسنت خير نبي» التي راح يكررها إحدى عشرة مرة خرج فيها من معنى الاستفهام الحقيقي إلى معنى بلاغي يريد من خلاله توضيح معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الخارقة التي كانت آيات للناس، ويبدو لنا في هذه الأبيات أن الشاعر حقق ذلك الإيقاع الجميل من خلال تكرار صيغة الاستفهام «ألسنت خير نبي» فجاءت الموسيقى هادئة ومؤثرة، فيها من الحركة في صدر البيت ثم استقراره في عجزه بوجود الإجابة على ذلك الاستفهام بأن الرسول صلى الله عليه وسلم فعلا هو خير نبي؛ لأنه جاء بكل ما هو خير وصلاح لأمته فجعلها خير أمة أخرجت للناس، كما أنه أعجز الكفار بمعجزاته التي أيده الله سبحانه وتعالى بها، فهذه النغمات الموسيقية المتوالية، تؤثر في المتلقي ويحقق بها الشاعر مبتغاه لأن "المبدع عندما يقع اختياره على بعض المفردات من مخزونه اللغوي فإنه لا يضع ذلك بشكل عفوي بل تكون له دوافعه الجمالية" (عبدالمطلب، 1995، ص147) وهذا ما أراد تحقيقه الشاعر من وراء هذا التكرار.

كما نجد في مدحية أخرى يكرر عبارة جديدة توحى بمدى حبه للرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم - وإيمانه بالحقيقة المحمدية وقوة معجزاته وتفردا فيقول: [البسيط] (العروسي، ص129)

أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ فِي الْأَفْقِ يَشْتَهَرُ

أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا خُلِقَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَلَا النَّيِّرَانِ تَسْتَعْرِ

أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي كَانَتْ تُضَلُّلُهُ عَمَامَةٌ إِنْ مَشَى فِي الْحَرِّ تَنْتَشِرُ

أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي أَضْحَتْ مُسَلِّمَةٌ عَلَيْهِ صَمُّ الصَّفَا وَالنَّبْتِ وَالْمَدْرُ

أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي فِي كَفِّهِ نَطَقَتْ صُمُّ الْجِبَارَةِ وَإِنْقَدَّ لَهُ الشَّجَرُ

أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي أَسْرَى لِخَالِقِهِ

لَيْلًا وَمَتَّعَ مِنْهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي أَضْحَتْ شَفَاعَتُهُ

لَهَا النَّبِيُّونَ يَوْمَ الْحَسْرِ تَقْفَرُ

لقد كرر الشاعر عبارة «أنت الحبيب الذي» سبع مرات في قصيدته مترنما بها قاصدا من وراء ذلك تأكيده على منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم عند معشر المسلمين فهو حبيبهم ونيبهم، ثم عمل على تأكيد معنى الحقيقة المحمدية وفضل وجود الرسول الكريم الذي لولاه ما وجد أي شيء، ممثلا الشاعر بالشمس والقمر والجنة والنار، وغيرها كثير لكن الشاعر اكتفى بهذه ثم راح يعدد معجزاته المتنوعة، والشاعر عمد إلى هذا النمط الأسلوبي وكثف منه في ديوانه لأن "العبارة المكررة تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية والكلام المكرر فيه طاقة تعبيرية ينبغي أن تستغل في موقعها" (الملائكة، 1967، ص187).

ويقول في موضع آخر: [الخفيف] (العروسي، ص160)

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ إِنَّ الدُّنْبَ أَثْقَلَنِي

وَأَنْتَ ذُخْرِي لِأَوْزَارِي وَزَلَّاتِي

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي غَيْرِ جَاهِكْ فِي

يَوْمَ الْحَسَابِ فَقَدْ ضَبَّعْتُ أَوْقَاتِي

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ يَا مَوْلَايَ عَبْدٌ قَدْ

أَتَاكَ يَرْغَبُ مَحْوَ اللَّاسِعَاتِ

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ هَبْ أَمْنَا لِمَادِجِكَ

الْعُبْدُ الْعَرُوسِي مِنْ أَهْوَالِ الرُّوَعَاتِ

كرر الشاعر عبارة "يا أكرم الخلق" مخاطبا بها الرسول صلى الله عليه وسلم موظفا أسلوب النداء في بدايتها لما يؤديه من دور في تعميق الصلة بين المتكلم والسامع خاصة وأن الشاعر كان يلقي قصائده أمام جمهور المستمعين مما يجعل المعنى أوضح وأعمق تأثيرا وألفت انتباها، ثم بعد أداة النداء "يا" يخاطب النبي -صلى الله عليه وسلم- ويصفه بأكرم الخلق طالبا منه الشفاعة يوم الحساب؛ لأن الذنوب أثقلت كاهله وأوزاره قد كثرت، فما بقي أمامه إلا اللجوء بالدعاء إلى الرسول المغيث ينجده مما هو فيه، لذلك راح يكرر دعاءه ومناجاته للرسول صلى الله عليه وسلم بعبارة "يا أكرم الخلق" باثنا من خلالها نغما مليئا بالتوسل والتضرع.

خاتمة:

حاولنا من خلال دراستنا لجمالية التكرار في المدائح النبوية للشاعر أحمد بركات العروسي أن نقف على مختلف أنواع التكرار التي وظفها الشاعر في ديوانه «وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد

المرسلين» من تكرر للحروف أو الأصوات، وتكرر الضمائر والأدوات، وكذلك تكرر الكلمة والعبارة، فالتكرار في ديوان العروسي تجلي بمختلف أنماطه وأضفى على النصوص الشعرية طاقة انفعالية، وقوة تأثيرية، يتفاعل معها المتلقي.

- كما أن هذا التكرار في ديوان العروسي لم يقتصر على الجانب الإيقاعي فقط بل تعداه إلى الجانب الدلالي بكل ما يوحيه النص، وجعل من أنماط التكرار أداة جمالية تخدم النص الشعري.

قائمة المراجع:

- ابن الأثير، ضياء الدين. (دت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر قدمه أحمد الحوفي ويدي طبانة، مصر، دار النهضة.
- أنيس، إبراهيم. (دت). موسيقى الشعر، مصر، المكتبة الأنجلو المصرية.
- الجرجاني، محمد بن علي. (2009). التعريفات وضع حواشيه محمد باسل العيون السود، (ط.03)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية .
- عبد الجليل، عبدالقادر. (1998)، الأصوات اللغوية، عمان الأردن، ط1، دار الصفاء للنشر .
- بن خوية، رابع. (2005). شعرية التكرار في النص الشعري الحديث، جيجل، مجلة الناص، العدد6.
- الذنبيات، أحمد عبد الرحمان. (2005). التشكيل التكراري في الشعر الجاهلي، الأردن جامعة مؤتة،
- ابن رشيق، أبو علي الحسن. (1996). العمدة، بيروت، لبنان، مكتبة ودار الهلال.
- السيد، شفيع. (2006). النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، القاهرة، دار غريب، ط1.
- السيد، عز الدين علي. (1986)، التكرير بين المثير والتأثير، بيروت، عالم الكتب ط2.
- عبيد، محمد صابر. (2001). القصيدة العربية الحديثة بين البنية والدلالة والبنية الإيقاعية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب .
- العروسي، أحمد بن بركات. (دت)، ديوان وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين، نسخة الكترونية من مدونة بن عزوز.
- الفرايدي، الخليل بن أحمد. (2003). بيروت، دار الكتب العلمية .
- فضل، صلاح. (1998). علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، القاهرة، دار الشروق.
- فضل، صلاح. (دت). بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة المعرفة الكويت، عدد164.
- عبد المطلب، محمد. (1997). قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب .
- عبد المطلب، محمد. (1995). بناء الأسلوب في شعر الحدائة، التكوين الإبداعي، القاهرة، دار السعادة .
- الملائكة، نازك. (1967). قضايا الشعر المعاصر، مصر، دار النهضة ط3.